الشيخ عبد الرحمن شيبان ومنهجه في تفسير تناوير من القران الكريم من خلال دروسه المسجدية

د.محمد الصديق قادري

جامعة الوادي

kadri.1988@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2018/01/30، تاريخ القبول 2018/04/18

الملخص:

تتمحور هذه الدراسة حول علم من أعلام الجزائر، وهو الشيخ عبد الرحمن شيبان الزيتوني، ومنهجه في تفسير القرآن الكريم من خلال دروسه المسجدية، التي استمرت لسنوات طويلة في مساجد العاصمة؛ حيث كانت هذه الدراسة في مبحثين أولهما تطرق للحديث عن الشيخ عبد الرحمن شيبان مولده ونشأته وتعلمه وشيوخه، ونشاطه الدعوي والإصلاحي وأثاره التي تركها انتهاءً بوفاته رحمه الله، أمَّا المبحث الثاني فقد كان للحديث عن منهجه في تفسير القرآن الكريم، بعد تفريغ وتحقيق نماذج مسجلة من تفسيره المسجدي ،ثم كان الحديث عن الطريقة والمنهج الذي عممه في مثل هذه الدروس،لأختم هذه الدراسة بجملة من النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمن شيبان، التفسير، المنهج، المسجد

Abstract:

This study focuses on one of Algeria's greatest scholars, Sheikh Abdul Rahman SHAIBAN Zitouni, and his approach in the interpretation of the Qur'an through his lessons, which have lasted for many years in the mosques of the capital, that focused on two subjects: one spoke of Sheikh Abdul Rahman SHAIBAN, his Birth, Education, Learning and Life, and his activity in the defense and reform and the knowledge he left behind after his death. the second part, discussed his approach in the interpretation of the Qur'an, after unpacking and making recorded models of his Almasjidia interpretations that spoke about his way and in interpreting these lessons and their distributed approaches, concluding this study in a series of notes and recommendations.

Keywords: Abrogation, ignorance, contracts, Purposes

مقدمـــــة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة و السلام على سيدنا محمد ρ، حامل الرسالة ومبلغ الأمانة، وعلى آله وصحبه وسلّم. **وبعد:** إن للمسجد مكانة عظيمة في الإسلام، وأهمية بالغة في توطيد العلاقة التواصلية بين المسلم وربه وإخوانه، لهذا أولاه النبي ρ أهمية بالغة، فكان من أولوياته بعد هجرته إلى المدينة المنورة لما له من دور فعّال في الإعلان، والتعليم، والتنظيم لصفوف الجماعة المسلمة، وقد حرص الصحابة والتابعين من بعدهم على المحافظة على هذا الصرح وبعثه وتوسيع دوره بما يليق بأمة ذاع صيتها مشارق الأرض ومغاربها، وحتى زمن النّاس هذا لايزال المسجد يقدم خدمته الجليلة للإسلام رغم الظروف الصعبة والمحاولات الدائمة لتقزيمه وتبديد دوره الحضاري، تأتي هذه الدراسة لرسم مظهر من مظاهر الدور الحضاري الذي يجب أن يكون عليه المسجد في هذا العصر(تفسير الوحي وتبسط السنة، ومدارسة الفقه)، وممن اختارهم المولى لهذا العمل المبارك الشيخ عبد الرحمن شيبان حارس القيم الإسلامية كما يلقب، فمن هو الشيخ عبد الرحمن شيبان؟ وما منهجه في تفسير القرآن الكريم من خلال دروسه المسجدية؟

المنهج المتبع: أعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي عند الحديث عن حياة الشيخ عبد الرحمن شيبان، والمنهج التحليلي الاستنباطي في الوصول إلى منهجه في تفسير القرآن الكريم، كما حوت الدراسة تفريغ وتحقيق تسجيلات صوتية لدروسه .

خطة البحث:

المقدمة: وشملت بياناً لأهمية المسجد ودوره الحضاري، وإشكالية الموضوع، والمنهج المتبع، وخطة الدراسة المتبعة.

المبحث الأول: تناول حياة الشيخ عبد الرحمن شيبان وأهم المحطات في حياته(مولده، نشأته، تعلمه وشيوخه وأخيراً مؤلفاته و جهوده الدعوية والإصلاحية، وفاته).

المبحث الثاني: خصص للحديث عن منهج الشيخ عبد الرحمن شيبان في تفسير القرآن الكريم من خلال دروسه المسجدية إذ اخترت نماذج مسجلة من دروسه قمت بتفريغها وتحقيق ما فيها، ثم ذكر منهج الشيخ عبد الرحمن شيبان في التفسير، لأختم هذا الدراسة بأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: حياة الشيخ عبد الرحمن شيبان

أولا:المولد والنشأة والتعلم

هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد البشير بن دحمان بن السعيد بن دحمان بن شعبان الذي اطلق عليه –شيبان– ويصل نسبها إلى الجذر الذي يتصل فيه أشراف المغرب العربي، وهو سيدي عبد الرحيم بن عبد الله بن بوزيد، فهو بهذا السلسلة من الأدارسة الأشراف، ولد عبد الرحمن شيبان في قرية الشرفة دائرة مشدالة ولاية البويرة يوم 12 جمادي أول 1336هـ الموافق لـ 23 فيفري 1918م، من عائلة محافظة عُرفت بالثراء والجاه وحبها للعلم، كان أبوه ممن يتقنون اللغة العربية والفرنسية، وأمه فاطمة بنت محمد أمزيان حمداش من أسرة محافظة أصلها أمازيغي من القبائل الكبرى من قرية توريرت عرش بني منصور، سمي عند مولده في البداية بمحمد الصالح، لكن والده غير اسمه في ما بعد إلى عبد الرحمن نسبة إلى جده من أبيه تخليداً لذكراه، كما هو الحال مع أخوه البروفسور السعيد شيبان الذي سمي باسم جد أبيه، حج والده سنة 1928م مع ثمانية عشر نفر من أهل القرية على رأسهم إمام القرية الشيخ المختار الورثلاني، وعند الملتزم دعا رفقته بالدعاء لابنه عبد الرحمن أن يفتح الله عليه أبواب العلم والمعرفة ليكون عالم وداعية إلى الله [1]، وقد كان يومها ملازماً لكُتاب القرية.

بدأ عبد الرحمن شيبان طفولته بحفظ القرآن الكريم على يد إمامه الشيخ المختار الورثلاني كما هو الحال مع أبناء معظم الأسر الجزائرية، ثم كان التحاقه بالزاوية السحنونية التي كان على رأسها الشيخ الشريف السحنوني، ليتعلم فيها مبادئ اللغة العربية والفقه والتوحيد، "لقد عشت

[1]) الشيخ عبد الرحمن شيبان المجاهد المربي المصلح الأديب، محمد الصديق قادري وآخرون، جامعة الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية قسنطينة 2014ص110.

حياة إصلاحية وعلمية، كانت المرحلة منها بزاوية الشيخ بن سحنون ببني وغليس في زواوة كانت زاوية إصلاحية خالية من البدع والشعوذة من الناحية الدينية، ومنزهة من العمالة للاستعمار من الناحية السياسية "[2]، قضى شيبان في هذه الزاوية مدة من الزمان تعلم فيها الفقه واللغة، بعدها التحق بابتدائية بن باديس في أعالي مشدالة، وكانت تبعد عن مسكن العائلة ببضع كليومترات، يضطر إلى قطعها صباح مساء رفقة شقيقه الأصغر السعيد، وبعد أن تهيأ للدراسة العالية سافر إلى تونس سنة 1938م لمواصلة ما تبقى من مساره في طلب العلم، فالجزائر وقتئذٍ لم يكن بها مدارس ومعاهد بهذا المستوى نتيجة السياسة الاستعمارية، التي عمدت إلى كل الوسائل لطمس الهوية العربية والإسلامية عن أبناء الجزائر.

رحلته إلى تونس:

في سنة 1938م التحق عبد الرحمن شيبان بجامع الزيتونة أين تلقى (علم أصول الدين، والفقه، وأصوله، وعلم المقاصد، والتفسير، والحديث، وفنون اللغة العربية)، كماتلقى علم المنطق والهندسة والحساب، وقد عرفت هذه المرحلة من الدراسة انقطاعات كثيرة بسبب الحرب العالمية الثانية خاصة سنة 1939م و1942م، ولم تقتصر رحلة عبد الرحمن شيبان على التعلم فقط، بل صاحب تلك الفترة نشاطاً ثقافياً، واجتماعياً متواصلا، أبرزه مشاركته إخوانه الطلاب في جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، ففي سنة 1946م انتخب رئيسا لها ففتح هذا له باب علاقات كبيرة خاصة مع شيوخ وعلماء الزيتونة، وتوجت هذه المرحلة بنيله شهادة التحصيل [3]في العلوم سنة 1947م، ومنه كانت العودة إلى أرض الوطن.

الانخراط في معهد عبد الحميد بن باديس:

[2]) الشيخ عبد الرحمن شيبان وجهوده في الدعوة والإصلاح، محمد الصديق قادري أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة الحاج لخضر باتنة 2017،ص32.

[3]) شهادة التحصيل هي شهادة زيتونية بدأ العمل بها سنة 1874م وكان يطلق عليها اسم " التطويع" يتحصل عليها الطالب بعد قضاء 07 سنوات يختمها باجتياز امتحان .

في سنة 1948م التحق عبد الرحمن شيبان بالمعهد الباديسي الكائن بمدينة قسنطينة بصفة أستاذ للأدب العربي والبلاغة، أين تعرف على الشيخ العربي التبسي مدير المعهد وأحمد رضا حوحو وثلة من أساتذة المعهد، وقد تتلمذ على أيديهم عدد كبير من أبناء الجزائر، هنالك انطلق شيبان في عالم الصحافة والكتابات الأدبية رفقه إخوانه، بعد الانطلاقة من الصحف التونسية، فكان من باكورة هذا الانخراط تأسيس جريدة الشعلة سنة 1949م، كما عكف عبد الرحمن شيبان في هذه الفترة على النشاط بجمعية العلماء المسلمين والكتابة في جريدة البصائر لسان حالها، توج خلالها بتصنيفه ضمن أساتذة الطبقة الأولى سنة 1954م رفقة الأستاذ نعيم النعيمي، والشيخ أحمد حماني، والشيخ عبد المجيد حيرش ، والشيخ عبد القادر الباجوري ، وفي شهر سبتمبر سنة 1956م شهدت مدينة قسنطينة أحداثاً دامية عرفت استشهاد رفيق دربه الأستاذ أحمد رضا حوحو واعتقاله للتحقيق رفقة زوجه، لكن بعد الإفراج عنه فرّ مباشرة إلى تونس مع وزوجته السيدة ياسمينة دمق، وهنالك بدأ العمل الصحفي التابع لجبهة التحرير.

العودة إلى تونس مناضلاً:

بعد العودة إلى تونس مضطرا، كلفته جبهة التحرير الوطني رفقة الأستاذ محمد الصالح الصديق بالعمل في دائرة الإعلام، التي كان الهدف منها نشر أخبار الثورة الجزائرية والتعريف بها، فكتبا في جريدة المقاومة لسان حالة جبهة التحرير الوطني، ثم تولى رئاسة مجلة الشاب الجزائري، وفي سنة 1960م ترأس وفد الجبهة في ليبيا و ظل في هذا المنصب طيلة أربعة أشهر ثم عاد إلى تونس مرة آخرى في نفس العمل، وبقي على هذا الحال كاتبا صحفيا حتى استقلت الجزائر 1962م.

بعد استقلال الجزائر:

عرفت هذه المرحلة من حياته محطات مهمة جداً، كانت بدايتها ترشحه للعضوية في المجلس الوطني التأسيسي نائبا عن ولاية سطيف، ونتيجة لجهوده في خدمة العلم والتربية انتخب بجدارة لهذا المنصب الذي فتح له آفاقاً وأعطى له دعما مكنه من الوقوف بقوة في القضايا المصيرية للجزائر، وفي هذه المرحلة كذلك عين مقررا للجنة التربية الوطنية، كما حظي عبد الرحمن شيبان في هذه المرحلة

بفرصة تاريخية مكنته من المشاركة في إعداد وصياغة أول دستور للجمهورية الجزائرية، وفي سنة 1964م حصل عبد الرحمن شيبان على معادلة لشهادته العلمية وذلك بعد المرسوم الرئاسي القاضي بمنح شهادة لسانس لحملة الإجازات، وفي هذه السنة كذلك كُتب لعبد الرحمن شيبان موقفٌ تاريخيٌ سيبقى خالدا تذكره الأجيال، أين ساهم بحنكته وفطانته في إزالة الفجوة التي حصلت بين الشيخ البشير الإبراهيمي و رئيس البلاد أحمد بن بلة بسب بيان 16أفريل 1964م، وبعد الانقلاب الذي قام به العقيد هواري بومدين واصل عبد الرحمن شيبان نهجه الإصلاحي، أين ساهم في منشورات وزراة التربية الوطنية، إذ أشرف على كتب اللغة والأدب العربي والتربية الإسلامية في مراحل التعليم بالجزائر، كما ساهم سنة 1966م في ترسيم اللغة العربية في منظمة اليونسكو بمعية أحمد طالب الإبراهيمي وزير التربية الوطنية في حكومة هواري بومدين، وفي عشرية السبيعنيات رسم عبد الرحمن شيبان سلسلة المختار للسنوات المتقدمة من التعليم الجزائري، إذ كانت الجزائر تعتمد كلية على ما يأتي به الوافدون من مصر، وسوريا، والعراق .

وبتاريخ 16جويلية 1980م عُين عبد الرحمن شيبان وزيرا للشوؤن الدينية والأوقاف، وعضوا في المجلس الإسلامي الأعلى، بقي على رأس الوزارة إلى غاية1986م، وقد أشرف في هذه المرحلة من حياته على ست ملتقيات للفكر الإسلامي أعطى لها نفسا ومظهرا جديدا، كما ساهم في هذه المرحلة في طباعة عدد من مؤلفات أعلام الجزائر، وفي سنة 1992م وبعد أن فتح المجال للتعددية أعاد عبد الرحمن شيبان رفقة إخوانه بعث نشاط جمعية العلماء المسلمين، فعين نائباً للشيخ أحمد حماني، وكُلف كذلك بإعادة النشاط الصحفي لجريدة البصائر لسان حالها، فساهم بماله وجهده في وقوفها، لكن ثقالها ومسؤوليتها غلب على جهده فتوقفت، وبعد وفاة الشيخ أحمد حماني سنة 1999م عُين عبد الرحمن شيبان رئيسا لجمعية العلماء المسلمين ورئيس تحرير جريدة البصائر.

انتخب عبد الرحمن شيبان رئيسا لجمعية العلماء المسلمين شهر سبتمبر سنة1999م وكُلف مرة أخرى بالإشراف على جريدة البصائر، فكان هذا دافعاً للاهتمام بكل ما له علاقة بالجمعية، إذ قام بإصلاحات كبيرة أهمها هيكلة الشُعب الداخلية، وتنظيم الصفوف، كما قام بتدشين فروع لها

خارج التراب الوطني، وساهم كذلك في بعث علاقات خارجية للجمعية، وفي سنة 2002م قام عبد الرحمن شيبان باسترجاع نادي الترقي الذي أسست فيه جمعية العلماء سنة1931م، وفي هذه الفترة كذلك ترأس عبد الرحمن شيبان فرع مؤسسة القدس الدولية بالجزائر، وبتاريخ 8ماي 2008م عقد المؤتمر الثالث للجمعية الذي جدد انتخابه فيه رئيسا لجمعية العلماء المسلمين، وفي هذه الفترة شارك عبد الرحمن شيبان في عدة تظاهرات دولية أهمها تعينه عضواً مؤسساً لمجمع الفقه الإسلامي الدولي أين كان ممثلا للجزائر، وعضواً في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، وفي سنة 2009م منح شهادة الدكتوراه الفخرية من كلية الإمام الأوزاعي بلبنان.

ثانيا: شيوخه وأثاره

–شيوخه: يعود الفضل في تنشئة عبد الرحمن شيبان بداية إلى عائلته التي حرصت كل الحرص أن ينال ابنها حظه من التعلم، وقد ساهمت ظروفها الميسورة بقسط وافر في اعتنائه بالتعلم والتحصيل منذ نعومة أظافره، ثم كان النيل من علم إمام قرية الشرفة ومعلمها الشيخ المختار الخياري الورثلاني ثم الالتحاق بالمدرسة السحنونية التي كان على رأسها الشيخ امحمد الشريف السحنوني (مقدم الزاوية)، بل إن الشيخ الشريف كان خريجا للزيتونة، وهو الذي منح عبد الرحمن شيبان التزكية التي تشترط عند التسجيل فيها، " يعود الفضل لأساتذتي ومشايخي الأجلاء، ابتداء من الشيخ المختار الخياري الورثلاني إمام قرية الشرفة ومعلمها، والعالم الرباني الشيخ امحمد السحنوني شيخ الزاوية السحنونية، التي درست بفرعيها، ببني وغليس على الضفة الشمالية من وادي الصومام وبالزواوة، فقد أخذت عنه مبادئ العربية وقواعدها، مع التوحيد والفقه الإسلامي"[4].

أما في تونس فقد درس عند كثير من شيوخ جامع الزيتونة أمثال الشيخ مختار بن حمودة ومحمد بوشريبة[5]، والشيخ محمد الفاضل بن عاشور، والشيخ الشاذلي بن القاضي، والشيخ محمد

[4]) سوانح في الفكر والأدب والسياسة، عبد الرحمن شيبان، جمع وتحقيق نوار جدواني، ط1 الجزائر 2012،ص372.

[5]) ولد سنة 1903م بالقيروان، وبها تلقى تعليمه الأول، ثم التحق بالمدرسة القرآنية التي أسسها الشيخ محمد شوشة، ثم التحق بالجامع الأعظم بالقيروان حتى يتهيأ لدخول الزيتونة التي تخرج منها سنة 1926م ليصبح مدرسا بها بعد أن أشتهر وذاع صيته في

عباس[6] والشيخ محمد الصالح النيفر[7]...، وقد تلمست من خلال مقالاته تأثره الشديد بإمام الجامع الشيخ الطاهر بن عاشور، وهو ما أكده وباح به في مقالاته "وأدين بالفضل لشيوخي بالجامعة الزيتونية التي درست بها، وعلى رأسهم مديرها الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ الطاهر بن عاشور الذي وجدت لديه عطفا أبويا ممتازا ...، ومن شيوخ الزيتونة الأجلاء الذين كان لهم أثر عميق في تكويني العلمي الأساتذة الشيخ محمد بوشريبة، والشيخ محمد عباس، والشيخ محمد الصالح النيفر"[8].

وقد ذكر عبد الرحمن شيبان في مقابلة أجرتها معه قناة القرآن الكريم سنة 2011م أنه مر في حياته بأربعة مصانع هي : مصنع العائلة، ومصنع المعمرة[9] ، ومصنع الجامعة الزيتونية، ومصنع جمعية العلماء المسلمين.

–آثاره ومؤلفاته:

كتب عبد الرحمن شيبان –رحمه الله تعالى– مقالات كثيرة في مختلف المواضيع، تناثرت بين المجلات، والصحف التونسية، والجزائرية، لحسن الحظ دوّن أكثرها في أرشيفات هذه الصحف، أهمها ما كتب على صفحات جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين، وتجدر الإشارة أن عبد الرحمن

تونس، له ديوان شعري كبير (2000) بيت، وله أيضا مختارات الأدب العربي، توفي سنة 1952م(ينظر محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، دار موفم للنشر 2008،ط2،ج2،ص59)–بتصرف–

[6]) ولد سنة 1899م بتونس العاصمة، بعد حفظه لجزء من القرآن الكريم وتعلم مبادئ بعض العلوم التحق بالزيتونة لمواصلة تعلمه، أيت تتلمذ على يد الشيخ محمد بن يوسف والشيخ محمد العزيز جعيط، بعد تخرجه عين قاضي حنفي1945م، ثم تولى الإمامة في مسجد القصبة إلى أن تقاعد سنة1960م، توفي سنة1979م.

[7]) ولد سنة1903م بتونس، تلقى مبادئ العلوم بالمعاهد الزيتونية وترقى في جميع مراحلها حتى نال شهادة التطويع، مارس مهنة التعليم بمدارس الزيتونة الفرع الزيتوني للبنات وساهم في بعث جمعية الشبان المسلمين أواخر العشرينات، ثم احدث جمعية النشء الرياضي سنة 1931م وتولى سنة 1940م رئاسة جمعية الشبان المسلمين، في عهد بورقيبة تعرض للكثير من المضيقات بسبب مواقفه الجرئية مما اضطره للسفر إلى الجزائر، توفي سنة 1992م.(انظر أروى النيفر، الشيخ محمد الصالح النيفر حياته وآثاره، ط1دار لبنان 2005)–بتصرف–.

[8]) المصدر نفسه، ص373.

[9]) المعمرة هي الزاوية التي تعلم القرآن الكريم وعلومه وهذه التسمية تنتشر في بلاد القبائل.

شيبان قد أخذ كثيرا من قدوته عبد الحميد بن باديس (تربية الرجال عن تأليف الكتب)، فقد إنكب على التدريس والتعليم والتنوير منذ عودته إلى الوطن، ويمكن القول أيضا أن إختياره أسلوب المقالات كان مجبراً عليه، نظراً لظروف البلاد حينها، وقد جمعت مقالات عبد الرحمن شيبان في ستة كتب هي كالأتي:

1- كتاب حقائق وأباطيل: تناول فيه الدفاع عن جمعية العلماء المسلمين ومؤسسها، بعد شيوع اتهامات وشائعات تردد عدم مشاركة الجمعية في ثورة التحرير، جمع فيه ما يقارب الأربعين مقالا، يبرز جهود الجمعية ومشاركتها في الإعداد للثورة التحريرية، طبعته الأولى من طرف المجلس الإسلامي الأعلى، وطبعته ثانية دار ثالة.

2- كتاب الأسرة المسلمة وتحديات العصر: هذا الكتاب خصه للحديث عن الأسرة المسلمة كيف تبنى، وكيف تربي، وكيف تواجه التحديات التي تواجهها، وقد خص فصولا بيّن فيها رأيه -كعالم دين- وجهة نظره فيما يحدث من تغيرات وتحولات مست قانون الأسرة الجزائري، والكتاب كذلك عبارة عن مقالات و مواقف نشرت في جريدة البصائر، أو الجرائد والصحف الجزائرية، طبعته دار الأمة.

3- كتاب الجزائر وفلسطين بين قوة الحق وحق القوة: على خُطى شيوخه لم يتوان عبد الرحمن شيبان في الكتابة عن القضية الفلسطنية من جميع الجوانب، فقد خطت أنامله أصدق العبارات وأجودها، بل حاكت حبه لها، كتب عن تاريخها، وجهادها والمؤامرات العربية والعالمية التي حُكت ضدها، في قوالب أدبية غاية في الجمال زاد عددها عن الأربعين مقالا، طبعته دار الخلدونية.

4-كتاب من هدي الإسلام: جُمع فيه ماكتبه عبد الرحمن شيبان في مراحل حياته عن رسالة الإسلام وتعاليمه، عدد مقالاته خمسة وأربعون، طبعته دار الخلدونية.

5- كتاب سوانح في الفكر والأدب والسياسية: أشرف على جمع وتنظيم هذا الكتاب الأستاذ نوار جدواني تلميذه، أبرز ما يلحظ عليه تلك التصنيفات الموضوعية التي قام بها، إذ وزع ما جمعه من

مقالات بين ستة محاور (التربية والتعليم، الفكر الإسلامي، السياسة، حوار الحضارات، أعلام وطنية، والأدب والنقد)، وقد طبع هذا الكتاب بعد وفاته رحمه الله، طبعته دار الخلدونية.

6-مقدمة مجلة الشهاب: طبعته دار المعرفة.

7-كتاب في موكب الثورة: طبعته دار الخلدونية.

-وفاته:

مع نهاية 2009م تداعت الأمراض والعلل على عبد الرحمن شيبان ونزلت به الأدواء فمُرض بعيادة الشفاء (حيدرة) أين كتب وصيته الأخيرة، ثم مكث طريح الفراش في بيت ابنه نوفل بالجزائر العاصمة، إلى أن وافاه الأجل فجر يوم الجمعة 12 رمضان 1431هـ الموافق لـ12 أوت 2011م، وشعيت جنازته بمقبرة الشرفة نبهلول مسقط رأسه ودفن بجنب الولي الصالح سيدي أعمر الشريف .

المبحث الثاني: منهج الشيخ عبد الرحمن شيبان في تفسير التناوير القرآنية

أولا:معنى التناوير القرآنية

يطلق هذا الاسم على الآيات المختارات لتفسير القرآن الكريم مشافهة في حلق المساجد أو مجالس الذكر، فالمفسر عوض أن يخوض في تفسير السورة كاملة فيقع في الإطالة ويضيع الوقت يختر فقط من آيات السور الطوال ما تناسب مع موضوع الحديث ليفسره ويبين معانيه، وهذا العمل قد ينسحب على قراءة القرآن الكريم كذلك، فعوض قراءته كاملا جرت العادة أن يختار بعض الآيات البارزات متصورا القراءة الكاملة له.

وهذه التسمية فعلها متضمن في الأوارد المعتمدة عند بعض الطرق الصوفية خاصة في ما تعلق بالقراءة.

وقد سميت ما قام به الشيخ عبد الرحمن شيبان بتفسير التناوير القرآنية للاعتبارات الآتية:

- كونه اقتصر على بعض الآيات ولم يفسر القرآن كاملا .
- اختار ما يخدم موضوعه وأتخذه مضمون الدرس.

- لم يشتهر الشيخ عبد الرحمن شيبان بالتفسير كما اشتهر في الإصلاح والدعوة والتربية والصحافة والأدب.

ثانيا: نماذج من تفسير التناوير القرآنية مشافهة في المسجد

يقول عبد الرحمن شيبان عن المساجد وأهميتها:" إنَّ للمسجد في الإسلام تاريخا عظيماً، فهو المنارة الهادية إلى الخير في جميع المجالات، يغذي العقيدة ويغرس الفضيلة ويدعو إلى الأخوة والوحدة التي بها تكون المناعة والعزة والكرامة "[10]، من هذا التصور لم يدّخر عبد الرحمن شيبان جهدا في النشاط المسجدي، فقد كان حريصا كل الحرص على أن يحافظ المسجد على مكانته الدعوية ورسالته الإصلاحية، لهذا حرص على المدوامة في دروسه، وإن كان يغلب على عبد الرحمن شيبان الميول الأدبي والفكري فإن هذا لم يمنعه من قراءة أمهات كتب الحديث وشرحها على المستمعين، كما ساهم في إحياء سنة قراءة الحديث النبوي، و كان له درس أسبوعي بمسجد القدس بالعاصمة، سجل معظمها ابنه نوفل في أشرطة سمعية بلغ عددها حوالي 500شريط، وقد تنوّعت مواضيعها بين التفسير و شرح أحاديث السنة النبوية الشريفة، قضايا التدين، والمرأة والشباب، والدفاع عن الإسلام، والإرهاب، والوحدة والأسرة، التعليم...الخ، وسنحاول في هذا الموضع تفريغ عينة من دروسه للوقوف على منهجه وما يطرحه من أفكار وشروحات، وقد اخترت هذه العينة من دروسه في جانب التفسير لاعتبارات الآتية:

-سهولة ووضوح الصوت والبيانات الخاصة بالتسجيل كالتاريخ ومكان الوقوع.

-أهمية الأفكار التي تناولها الشيخ رحمه الله في هذه النماذج .

النموذج الأول:

تفسيره لقوله تعالى:" **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64) فَلَا وَرَبِّكَ لَا**

[10]) من هدي الإسلام، عبد الرحمن شيبان، دار الخلدونية 2009،ص70.

يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا "سورة النساء الآية 64-66.

يقول رحمه الله تعالى : هاتان الأيتان الكريمتان من سورة النساء، وسورة النساء من سور القرءان الكريم الذي نزل على النبي ρ بعد هجرته من مكة إلى المدينة، فهو قران مدني، وكل قران نزل بعد الهجرة فهو مدني، ومانزل قبل الهجرة فهو مكي، هذه السورة نزلت بعد هجرة النبي ρ، وعدد أياتها 176 وهي طويلة جداً، يقول تعالى :" الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ "سورة إبراهيم الآية ، الله تبارك وتعالى خلق الخلق وهو أعلم بما يصلح لهم في دنياهم وأخراهم، فأرسل إليهم الرسل ليبينوا لهم طريق السلامة، وطريق الخير، وطريق الحق والعدل ليتبعوه، ويريهم طريق الشيطان، طريق الشر، طريق الخيانة ليجتنبوه، فالله تعالى أعلم بما يصلح للإنسان، فعلى المخلوق، أن يتعرف على ما أمره به ربه فيقبله، لأن في ذلك فائدة له، ويتعرف على ما يضره فيجتنبه، لأن فيه مضرة له، فإذا أرسل الله الرسل فلكي يتبعوه، ويسمع الناس إليهم ويعملوا بما يقولون، وما يفعله الرسول ρ، وسنة الانبياء تتمثل في أقوالهم، في أفعالهم، وفيما يُفعل أمامهم ويُقرون عليه، الرسول ρ له أقوال يجب أن نعرفها لنعمل بها، وله أفعال فعلها نقتدي به، صام نصوم، حج نحج، صل نصلي، ويفعل الناس أمامه أشياء فيُقرهم عليها، فلا ينهاهم، والرسول ρلايُقر على باطل، إذا فعل أمر أمامه وسكت عنه فهو سنَّة من سننه مثل سنته القولية وسنّته الفعلية، إذا الرسل وظيفتهم أن يبينوا الطريق السليم للناس، فعلى الناس أن يطيعوا ماجاءت به الرسل، فإذا أطعنا الله الذي أرسل الرسل، فطاعة الرسول طاعة لله، ومعصية الرسول معصية لله " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ " ، أرسل موسى بالتوراة، أرسل عيسى بالإنجيل، أرسل داوود بالزبور، أرسل إبراهيم، أرسل نوحا، فعلى كل أمة أرسل لها رسول أن يتبعوا ويطيعوا ذلك الرسول، والفائدة للمطيعين وليست لله تبارك وتعالى، الله غني عن طاعة المطيع وعن معصية العاصي،" **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** والذين يخالفون طاعة الله هما نوعان : فيهم المنافقون يظهرون الإسلام ويطمرون

الكفر في قلوبهم، وفيه الكافرون في الظاهر والباطن، كافر بالله تعالى يجحد نعمة الله في سره وعلانيته، إذا العصاة اثنان عاص منافق يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وعاص ظاهراً وباطناً هو الكافر، هؤلاء المنافقين أو الكافرين، لو أنهم جاءوا إلى الرسولρ فاستغفروا الله عصيانهم له وعدم امتثالهم لأوامره وقالوا :يارب اغفر لنا الزلات التي قمنا بها، ويأتون النبيρ ويَستغفر لهم ربي، فيقبل الله توبة المستغفر لهم، لكن كيف ظلموا أنفسهم ؟! لم يظلموا الله Y ولا نبيهρ، بل ظلموا أنفسهم ولو أن الناس الذين خرجوا عن الطريق جاءوا إلى النبي ρ في الحين وقالوا يا رسول الله أننا نستغفر الله فاستغفر لنا، أي نطلب الله بجاهك أن تستغفر لنا، ليس الرسول من يغفر لهم!، الرسول يطلب لهم غفران الله فقط، المغفرة في يد الله " لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا " لو كانوا إذا عصوا وارتكبوا الفساد، جاءوا إلى الرسول ρ المبعوث هداية للناس، جاءوا إليه إننا نستغفر الله وندمنا على ما قمنا، فاستغفر لنا فاستغفر لهم فإن الله يتوب عليهم، هناك قصة طريفة في هذا الأمر عن الإمام العيني رحمه الله يقول : جاء أعرابي (الأعراب هو من يسكن البادية وليس العربي) جاء فاقترب من قبر الرسول ρ يخاطبه، سمعت الله يقول:" وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا" لقد جئت استغفر لذنبي، أطلب منك يارسول الله أن تستغفر لي عند ربي، وانصرف الأعرابي والإمام العيني يسمع كلامه وقد أخذته عينه (سها) يرى النبي ρ في منامه وهو بجوار قبره فقال له رسول الله : يا عيني ألحق الأعرابي فقل له إن الله قد غفر لك، من استغفر الله غفر له[11] .

تقول الآية 65 : فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " الله تعالى يحلف بنبيه محمد ρ، أي مجد وأي خير وأي نور، أن يتصل الإنسان بربه الذي أرسل الرسل وفي طليعتهم خير الأنبياء والمرسلين محمدρ، وهذا تشريف للنبي محمد ρ، تقول السيدة عائشة τ في حديث رواه الإمام البخاري، أن النبي ρ قال

[11]) القصة ذكرت في تفسير القرطبي، في تفسير نفس الآية وسبب نزوله، وقد اختلف أهل العلم في سندها ولكنهم أجمعوا على ضعفها وعدم صحتها، والشيخ رحمها الله نسبها للعيني والمشهور أنها للعتبي.

لعائشة وهي البنت البكر الوحيدة التي تزوجها وكلهم سبق لهن الزواج، حتى يعرف المرأة بصنفيها الصنف الذي سبق له الزواج، والصنف الذي لم يتزوج، قال لها : ياعائشة إني لأعلم متى كنت عني راضية، ومتى كنت عني غضبة! —فخافت أمنا عائشة، إذ كيف تغضب عن الرسول ρ- قال لها حين كنت راضية —أنظروا إلى مكانة المرأة في الإسلام — تقولين لا ورب محمد، وحين كنت غضبة تقولين لا ورب إبراهيم، فاجابته τ، والله يارسول الله لا أهجر إلا اسمك، اللسان قال إبراهيم والقلب قال محمد[12]، طبيعة المرأة تخفي ما لا تبدي، الشاهد هنا أمنا عائشة عرفت الآية هذه، اقتداء بالآية الله تعالى يقسم بنفسه منسوباً إلى محمد وهو رب السماوات والأرض، ذكر محمدا تشريفا لمكانته عنده، لايؤمنون يقصد الكفار والمنافقين و العصاة المذنبين، حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ما يكون الإنسان نؤمن حتى يجعل الله تعالى الحاكم، وهو القاضي فيما بدر من الأفعال، أي حتي يجعلوك حاكماً وقاضياً في شؤونهم، في هذا الزمان إذا اختلف الناس في بعض الأمور يذهبون إلى المحكمة يعني يرفعون قضية وكل واحد منهم يتخذ محامياً يدافع عنه، القاضي هو الله تعالى، لا يرضى حتى يقبل الفرد بأن الله تعالى هو الذي يحكم والرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي يُرجع إليه في القضايا، فيه حادثة ذَكرت أنَّ شخصين اختلفا فاحتكما إلى سيدنا عمر بن خطاب τ، وقد احتكما قبل ذلك إلى النبي ρ فوافق المحكوم له، وعند حضورهما عند عمر بن خطاب τ سأل عمر المحكوم له فأخبره بما حصل في ذلك وقد تأكد من صحة ما قيل من عند المحكوم عليه، فاستل سيفه فضرب المحكوم عليه فقتله عقاباً لعدم قبوله حكم النبيρ ، لما يصدر حكم من الرسول ρ لابد أن يقبل دونما أن يتحرك شيء في النفوس، ودونما غضب، لابد أن

[12])أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب غيرة النساء ووجدهن، الرقم 0228، بيت الأفكار، الرياض 1998م، ص1035. الحديث هذا متنه "عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى قالت فقلت ومن أين تعرف ذلك قال أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت غضبى قلت لا ورب إبراهيم قالت قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك ".

يسلموا، لأن حكم الرسول ρ خير لهم، إذا قارن الإنسان بين أن يربح الحكم ويخسر إيمانه فهو خاسر، وبين أن تربح إيمانك وتخسر المال الدنيا كلها خير لك من أن تعصي رسول الله في حكم.

الحكمة من هاتين الآيتين ماهي ؟

الحكمة هو أن المؤمن وقد عرفنا الإيمان في دروس سابقة، في أحاديث كثيرة منها حديث جبريل υ الذي جاء في صورة شاب، وكان معه الصحابة وقد سئل النبي ρ ماالإسلام ؟ باختصار هو شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجِّ البيت، وصوم رمضان، ثم سأله ما الإيمان؟ (وهذا محل الشاهد) قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره [13] باختصار هو أن نؤمن بالله هو الحق القيوم الرزاق و إليه نعود لا إله إلاهو، ونؤمن بملائكته التي خلقها وهي مخلوقات من نور، ونؤمن بالكتب كلها، ونؤمن بالرسل أولهم آدم وآخرهم محمد ρ لا نفرق بين أحد من رسله، ونؤمن باليوم الآخر معناه إذا متنا هناك بعث وليس كالمشركين يقولون: الأرحام تدفع والأرض تبلع، بعد هذا ليس هناك حياة أخرى، يكفرون باليوم الأخر يقولون " وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ "سورة الواقعة الأية47 ، ونؤمن بالقدر أي ما قدر الله لنا من صحة ومرض، غنيٌ وفقر، وبخير ما قدر الله تعالى وما قدر من شر، هذه شروط الإيمان، لكن هل يكفي هذا حتىَّ تكون مؤمنا؟! يعني فعل كل ماذكر، كلا لا يكفي، نأخذ حديثا يحفظه الناس كثيراً قوله ρ : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه " [14] حديث مشهور، لا يكون الإنسان مؤمنا فعلا ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، إذا فيه شروط الإيمان نظريا من حيث المبدأ، وفيه شروط الإيمان عملياً، فإذا امنت بالعناصر الستة وتحب لنفسك ما لا تحبه لغيرك، وأنت تظلم غيرك، تحب لا يسرق مالك وأنت تسرق مال الناس، تحب الناس أن يكونوا أوفياء لك وأنت تخونهم لست مؤمنا ولو قلت أمنت بالله وملائكته

[13]) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ρ، الرقم 50، بيت الأفكار، الرياض 1998م، ص33.

[14]) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، الرقم13، بيت الأفكار، الرياض 1998م، ص26.

وكتبه ورسله، وعليه هذه الآية تزيد لهذا الطريق الإيمان الذي ينفع هو الحكم بحكم الله وليس بحكم البشر، لنطبق الأمر على أوضاعنا، نفرق بين المبادئ العامة النظريات وبين الواقع، الله تبارك وتعالى قال في سورة المنافقين" وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ "سورة المنافقون08 العزة لمن ؟ لله خالق الكون وللرسول و للمؤمنين، الموصوف بالعزة هو رب العزة سبحانه وتعالى ورسله وفي طليعتهم محمدρ، والمؤمنون بما جاءت به رسالة محمد، واتباع الأنبياء كلهم، لما نتأمل في هذه الآية اليوم هل للمؤمنين عزة ؟! نأخذ مثالا واحداً بيت المقدس الذي كان قبلة المسلمين والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، هذا البيت هو بين أرجل اليهود ألعن أمة في الأرض، أين العزة للمؤمنين ؟! لماذا المؤمنون الذين وعد الله أنهم أعزاء نراهم اليوم أذلة؟!، كنت قد أشرت في مناسبات سابقة لذلك، لقد تأملت في القرءان الكريم، فوجدت سراً في سورة آل عمران في الآية يقول الله تعالى فيها مخاطباً المؤمنين: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ "سورة آل عمران الآية102-103 أعبدوا الله أكمل ما يمكن أن تعبدوه، أمركم بالصلاة صلوا، أمركم بالزكاة زكوا، ثم اثبتوا على الإيمان، اثبتوا على العبادة ليس لعام أو اثنين، بل لابد أن تكونوا ثابتين على ما جاء به الله تعالى ونبيه من عقائد وعبادات وموتوا على ذلك حتى تلقوا الله، هذا الشرط الأول، أما الشرط الثاني فتمسكوا بالوحدة، وكونوا موحدين، وأنتم مصلين مزكين حاجين، صحيح هذا نقوم به، عبادات الله قائمة على الشرط الأول ، لكن القسم الثاني أمرنا بأن نكون متحدين، وزاد كذلك لا تتفرقوا، كان يكفي لوذكر واحدة، لكن الله جمعهما في اثنتين لأن الوحدة أمر عظيم، لأن الوحدة تكون بالقوة، والقوة تأتي بالعزة، العزة ليست للضعيف، العزة للقوي والقوة بما تكون ؟! تكون بالوحدة، أمة متفرقة أمة ضعيفة، والأمة الضعيفة تكون ذليلة، نحن نرى تأييد للصهاينة ماحصل من قبل، اليهود رغم تفرقهم في الأوطان لكن رأيهم

جامع ويتعاونون بينهم بالأموال والسياسة في كل مكان وزمان، الله تبارك وتعالى اشترط حتى تكون العزة، كما أخبر في سورة المنافقين اشترط شرطين :

– أن نكون مؤمنين ونبقى على الإيمان حتى نلقى الله.

– وأمرنا بالوحدة فلما نتحد، وفي الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري مثل الآية " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا "[15]، لو أن المؤمنين على الوحدة ما استقبل بعضهم الرئيس الإمريكي بوش بالرقص بالسيوف، الذي يضمن بقاء دولة اليهود، أين هو الإيمان؟!.

فالله تعالى وضع قوانين فمن اتبعها أفلح، ومن انحرف عنها ضل وساء حاله .

اللهم إنا نسألك العافية والمعافاة في الدينا والآخرة، وأن توحد شملنا إنك على على كل شيء قدير، سبحانك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين[16].

النموذج الثاني: تفسير الآية :" **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** " سورة التوبة الآية128-129 يقول الشيخ عبد الرحمن شيبان : هاتان الأيتان الكريمتان من القرءان الكريم من سورة التوبة، وسورة التوبة نزلت على النبي ρ في آخر ما نزل عليه، وهي من القرءان المدني، وكل سورة نزلت قبل هجرة النبي ρ من مكة إلى المدينة تسمى قرءاناً مكياً نسبة للمكان الذي نزلت فيه، وكل قرأن نزل بعد هجرة النبي ρ من مكة إلى المدينة تسمى قرأناً مدنياً، هذه السورة قيل أنها أخر سورة من القرءان، ليست أخر أية، أخر أية في القرءان هي من سورة البقرة " وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ " سورة البقرةالآية281، المولى Y حذر المؤمنين من أخر عيشهم في الحياة الدنيا، سيعودون إلى ربهم،

[15]) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، الرقم 481، بيت الأفكار، الرياض 1998م، ص113.

[16]) درس ألقاه بمسجد حيدرة الجزائر يوم 2008/05/16م.

وسيجدون عند ربهم الحساب الذي يوفي حقهم مما فعلوا من الخير، وينالون من العذاب مثل ما يستحقون، قال تعالى:" فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ "سورةالزلزلة الآية7-8، هذه السورة انفردت من بين 144 سورة في القرآن ابتداء من الفاتحة إلى سورة الناس كلها مبدوءة بالبسملة، إلا هذه السورة وتسمى ببراءة، سئل الإمام علي كرم الله وجه عن سر ذلك، سأله ابن العباس τ، وهنا المؤمن يسئل عن ما لا يعرفه، ومن خلق المسلم أن يسأل ليعرف عن الإسلام، وقد دعا ربنا لطلب العلم فقال" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ "سورة العلق الآية1 المسلم ينبغي أن يقرأ، أن يفهم، في أي حال كان، في أي وظيفة كان، فقال الإمام علي كرم الله وجهه و τ: هذه السورة افتتحت ببراءة الله من المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، والمشركون عاهدوا النبيρ عهوداً فخالفوها ونقضوها، لهذا أعلن المولى براءته منهم، فقد كان يسمح للمشركين الطواف بالكعبة عراة، ومن هذا التاريخ منعوا من الطواف و أعلنت غضبة الله عليهم، ليغضب المسلمون عليهم، المسلم يغضب على من يغضب الله عليهم، ويرضى عن من رضي الله عنه، إذاً بسم الله الرحمن الرحيم رحمة، والرحمة هي فعل الخير والمواساة، كأن تواسي مريضا تعطيه الدواء، الفقير تعطيه ما يقتات هذه هي الرحمة، الرحمة يواجه بها الخيرون من الناس وليس الأعداء والخصوم، ومنه ليس معقولاً أن الله تعالى يقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يتبرأ منهم، إذاً هذه السورة تقرأ من غير بسملة، وتقرأ أياتها إذا لم تكن في الأول بغير بسملة، البسملة أمان و عهد طيب والله تعالى تبرأ من هؤلاء المشركين والمنافقين الذين عاهدوا رسول ρ فنقضوا عهده، عدد آيات هذه السورة 129 وماقرأته عليكم هو الآية 128، ونحن في شهر ربيع الأول شهر ميلاد أكرم الخلق، المولى تعالى ماخلق أعظم ولا أكرم من الإنس والجن من محمد ρ قال تعالى:" وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ "سورة البقرة الآية143 المولى تعالى شهد على الخلق أن فضل محمداً وفضل أمته على الخلائق والأمم، كذلك هذا عطف على ما

تقدم، المولى تعالى هدانا إلى الصراط المستقيم، وفضلنا مثلما هدى أتباع موسى υ وهدى أتباع عيسى υ هذا فضل من الله تعالى، لكن زاد المسلمين فضلا أخر على ما فضل به المؤمنين تباع كل الرسل، نوحاً مع قومه وإبراهيم مع قومه نحن مع هؤلاء في الإيمان العام هذا فضل من الله، ويزيد المسلمون تفضلا محمدρ أنه فضلهم على الأمم الأخرى، أي أمة الوسطية، والوسطية تفسر بمعان كلها خير، كلها فضل، مما عليها الوسط الذي نعرفه لا على اليمين ولا على الشمال، وفيه كذلك الخيرية، أمة خيّرة يعني مختارة، فيها كذلك أمة عدول، يقول فلان عدل، وفلان وسط بمعنى عادل وأفضل من يجسد معنى الوسطية كثيراً ما نسمعه في دروسنا لكن من غير شرح واضح، ومنه فما هي الأمة الوسط بين الأمم ؟ لنأخذ حالة واحدة من القرءان الكريم، ميلاد سيدنا عيسىυ من غير أب، هذا أجمعت عليه الأديان، الناس أمام هذه الظاهرة غير العادية، المعروف والعادة أن الولد ذكراً أو أنثى يكون له أبوه وأمه، لا مولود من غير أب ولامولودة من غير أم، قلت لما ولد عيسى υ من مريم بنت عمران، والقرءان سما سورة كاملة من 200 آية بسم آل عمران، أم مريم لما حملت طلبت من رب العالمين أن يجعل ولدها مسخراً لخدمة بيوت الله لخدمة الدين، لأنه في العادة عندهم الذي يخدم بيوت الله هم الرجال أما النساء فلا، قالت أم مريم:" **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**"سورةآل عمران الآية143 لكن لما ولدت كانت مريم، فقالت:" **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** "سورة آل عمران الآية36 وكأن رجاءها خاب ، فتأسفت من ذلك، لكن المولى تعالى وعد، والله تعالى لا يُخلف وعده أمام طلب إمرأة عمران، طلبت ذكراً فجاءتها أنثى فسمتها مريم، المولى تعالى استجاب لها لكن لا كما تريد، فأنجبت بنتها مريم رسولا من أولي العزم سيدنا عيسى υ، إمرأة عمران التي طلبت ولداً لم يرزقها ربنا بولد رزقها ببنت والبنت لم تنجب ولداً يخدم المعابد ولدت عيسى رسولا، لم تكن تحلم بهذا، لكن لما ولد عيسى من غير أب وأمه معروفة اليهود الماكرين الحاقدين ذهبوا مذهب الشيطان فقالوا عن مريم البتول الطاهرة التقية النظيفة قالوا عنها إنها ارتكبت فاحشة إذا ليس لها رجل،

اليهود لهم شغلهم والنصارى لهم شغلهم كذلك يعرفون أن عائلة مريم عائلة شريفة عريقة لها زكرياء ويعقوب ويحي، عائلة عريقة في الدين مستحيل يخطر في بالهم ان مريم ارتكبت فاحشة، ولكن الظاهرة لابد أن يعرف أباه، فقالوا: أن الله هو أبوه تعالى الله علواً كبيراً، الشاهد هنا أن المسلمين لم يقولوا مثل ما قالت اليهود، ولما يبالغوا كما بالغ أهل عمران في قولهم أن ابن الله، وهي عقيدة المسيحين اليوم قائمة على ثلاثة عناصر، الله ، الولد، وروح القدس، فهم يقصدون بهذا أن الله تعالى ثالث ثلاثة عناصر، فقال عنهم القرءان :" **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** "سورة المائدة الآية73 كافر من قال أن الله ثالث ثلاثة، أمة محمدρ موقفها لا مع اليهود الملاعين ولا مع النصارى، جاء في سورة الفاتحة قوله تعالى:" **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** "سورةالفاتحة، لهذا عوقب النصارى، أمة محمد ρ تقول: يا من تعجبتم من أن عيسى ليس له أب تعجبوا من آدم الذي لا أب له ولا أم بشهادة الأديان كلها، إن آدم خلق من تراب وحوى خلقت من ضلعه، لم تخلق حوى من نحاس أو تراب، المولى تعالى خلقها منه لماذا ؟ لتسكن إليه ويسكن إليها، فلو خلقت من خلق آخر لا يميل إليها آدم، قال تعالى:"**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** "سورةآل عمران الآية56، في الجزائر، جزائر مليون ونصف المليون شهيد، جزائر القرءان الكريم، جزائر السنة النبوية، لنا إخوان وأخوات تركوا دين محمد ρ ويدخلون في أوهام لا أقول دين عيسى υ كون دينه لم يبق، ونحن لن نكون مؤمنين إلا إذا أمنا بعيسى وجميع الرسل، لو كان أولادنا يقرأون هذه الآية في المدارس ما كان ليأتيهم أحد فيصدقونه، إذا تعلم الولد العقيدة الصحيحة ماهو الإسلام ؟ على ماذا يقوم؟ كيف يكون لله ولد ؟! ندعو الله تعالى أن يعصم أبناءنا وبناتنا من الإعراض عن دين محمد ρ الذي به يسعدون في دنياهم وآخرتهم، قال ربنا:" **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** " لقد للتوكيد، انظروا أيها العرب انظروا لفضل الله عليكم، إذ أرسل منكم رسولا من جنسيتكم عربي قريشي، مامن قبيلة عربية إلا ولها صلة

بالنبي ρ تشريف لهذه الأمة، المولى تعالى اختار أمته من بين الأمم واختار له الجو الذي يلائم نشر هدايته في العالمين، وله خمس صفات أولها من أنفسكم أي ليس من غيركم، ثانيها عزيز عليه ما عنتم أي شديد عليه ويتألم من الشر الذي يصيبكم مثل الأم والأب لولدهما، محمد ρيشق عليه أن يرى أمته في شر وبؤس، حريص عليكم أي حريص على هدايتكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، ماهي الرأفة والرحمة؟ (الرابعة والخامسة)، الرأفة هي الشفقة مثلا إذا عندك شفقة على ولد رأيته أمامك يتألم، إذا أشفقت عليه تسرع لحمله وطمئنته، والذي ليس له رحمة يتركه، الرحمة تتبع الشفقة تتبع الرأفة، لا يرحم من لا يرأف، الذي لا يشفق على الناس، محمد رؤوف بالمؤمنين ويدعو الله أن يرحمهم، اللهم اجعلنا ممن يشفق عليهم النبي ρ، المولى وصف نبيه بصفتين من صفاته، أعطيت هذه الأوصاف للنبي ρفقط، " **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** " إذا كانت هذه الصفات منهم وفيهم تشفق عليهم وترحمهم وإن أعرضوا عن الحق فيكفي شهادة المولى عليك، ليكفر من كفر وينحرف من انحرف، مهمة الرسل تبليغ هداية الله إلى الناس، فمن قبل وآمن فأجره على الله، ومن عصا فجزاؤه عليه، الله تعالى يمتن على عباده أنه بعث إليهم رسولا فيه هذه الصفات، التي كلها خير جاءنا بالصلاة فخير الصلاة لنا، جاءنا بالزكاة فخير الزكاة لنا، جاءنا بالصوم فخير الصوم لنا، جاءنا بالعدل فخير العدل لنا، نختم بحديث رواه الإمام بالبخاري، عن أبي هريرةτ عن رسول الله ρقال : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عزوجل، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه "[17] نأخذ من الحديث إمام عادل وشاب له نشأفي طاعة الله، لماذا المولى بدأ بالإمام ؟ لأن خيره لنفسه ولغيره، إذا عمل الشر فشره لغيره كذلك، فالإمام العادل فضله عند الله عظيم إن كان من المحسنين وشره عظيم

[17]) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين الرقم 1423، بيت الأفكار، الرياض 1998م، ص 277.

إن كان من المسيئين، الإمام يمثل العقل والقيادة والرأس، وعبّر عن الرعية بالشاب الذي يمثل الطاقة العملية، فهو الذي يقوم بكل شيء، الإسلام قائم على القيادة الراشدة والقوة الفاعلة، اللهم وفقنا إلى أن نعمل بكتاب الله وسنة نبينا محمد ρفي سرائنا وضرائنا[18].

هذه بعض العينات المفرغة من دروسه رحمه الله.

ثانيا: منهج الشيخ عبد الرحمن شيبان من خلال هذه العينات.

للتوضيح أن هذه العينات هي جزء من مشروعنا في تفريغ وتحقيق دروس الشيخ عبد الرحمن شيبان (قيد الانجاز) وهذه خلاصة ما وجدته.

–من حيث الأسلوب:

1– قبل ولوجه في تفسير الأيات التي اختارها، ينطلق في وضع تمهيد يجعل من المستمع مرتب الأفكار، يصل إليه الفهم مهم عسر، فأول ما يبدأ به هو القراءة المحكمة للأيات، ثم يشير إلى موضعها في القرآن الكريم، ونوع السورة (مكية أو مدنية)، وعدد أياتها، وأحياناً يرفد إلى بعض الأمور المتعلقة بهذه السورة كسبب نزولها العام، وهذه الطريقة هي ما يبدأ به، لاحظ النموذج (هاتان الأيتان الكريمتان من سورة النساء، وسورة النساء من سور القرءان الكريم الذي نزل على النبي ρ بعد هجرته من مكة إلى المدينة، فهو قران مدني، وكل قران نزل بعد الهجرة فهو مدني، ومانزل قبل الهجرة فهو مكي، هذه السورة نزلت بعد هجرة النبي ρ، وعدد أياتها 176 وهي طويلة جداً.....) والنموذج الثاني(هاتان الأيتان الكريمتان من القرءان الكريم من سورة التوبة، وسورة التوبة نزلت على النبي ρ في آخر ما نزل عليه، وهي من القرءان المدني، وكل سورة نزلت قبل هجرة النبي ρ من مكة إلى المدينة تسمى قرءاناً مكياً نسبة للمكان الذي نزلت فيه، وكل قرأن نزل بعد هجرة النبي ρ من مكة إلى المدينة تسمى قرأناً مدنياً) تعميم هذا الطريقة في ولوج تفسير آيات القران الكريم يسهل على المستمع فهم المُفسر ويسهل عليه وضع رتم مع جميع دروس التفسير.

[18]) درس تفسير ألقاه بمسجد القدس بحيدرة يوم28مارس 2008م.

2- بما أن التفسير وشرح الحديث شفاهي يُعرض مباشرة على الجمهور، فإن الشيخ يحرص على قراءة النصوص قراءة صحيحة خالية من اللحن.

3- يشرح لغويا بعض المفردات الأساسية، شرحا يساعد المستمع على فهم المضمون، وقد ينزل إلى استعمال ألفاظ الدارجة (اللهجة العامية الجزائرية) مراعاة لحال المخاطبين، فدروس المسجد غالباً ما يكون المستمعون فيه من فئة الثقافة اليسيرة، فمثلا فبعض الكلمات العربية قد لا تجد لها تداولا في المجتمع الجزائر وبالأخص المناطق الجغرافية التي فعل فيها المستعمر الفرنسي فعلته، فتتداول كلمات بصورة كبيرة جداً فيُخيل لعوام المجتمع أنها من العربية، وقد عمدتُ لإعادتها لأصلها العربي مراعاة للمنهجية العلمية في تفريغ الدروس مثال(يقرو = يقرأون، طلبت ربي = دعت المولى....) والجميل أنه يذكر الكلام باللغة العربية ثم يردده بالعامية الجزائرية، والشيخ الفطن هو من يخاطب قومه بلغة عصرهم.

4- يفسر الآيات ويشرحها معتمداً على آيات أخرى من القرءان الكريم والسنة النبوية الصحيحة، أي معتمدا الأثر، وفي كل مرة يشرح النص الذي وظفه للشرح، أي يعتمد التفسير بالمأثور.

5- وقد يلجأ للتمثيل من الواقع المعاش، حتى يسهل أكثر وصول المطلوب.

6-كثيراً ما يوظف قضايا من البيئة الجزائرية، وربما أحادث آنية (خاصة قضايا الأمة المصيرية)، أو حوادث تاريخية ليصل مقصوده والغاية من اختيار الآيات المفسرة، من ذلك حديثه الثورة الجزائرية وبسالة أبطالها وشهداءها، القضية الفلسطينية....الخ.

7--قد يعبر عن حكم شرعي من خلال هذا المنبر، خاصة ما كثر الحديث عنه، ففي دروسه تجده بارعاً في ربط ما يجول في ذهنيات المستمعين خصوصا ما تعلق بالفتاوى المعاصرة، أو التجذاب الفقهي بين المذاهب .

8-الابتعاد عن الإسرائليات، إذ لاتجد لا أثراً في كلامه ودروسه، كما هو الحال في عدد كبير من دروسه المسجدية التي أعكف على تفريغها وتحقيقها.

-من حيث المحتوى:

1- كثرة الاستدلال بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة: إذ يعمد كثيراً لتضمين النصوص القرآنية لتشرح بعضها البعض أي تفسير القران بالقرآن ، بالإضافة إلى ذكر الأحاديث النبوية الشريفة والإشارة إلى درجتها، ليعطي لكلامه مصداقية وقوة، وتفسيره لا يهتما كثيرا باللغة لمخاطبته شريحة متفاوتة في المسجد ، وأحيانا نجد بعض الأحاديث الضعيفة والمختلف في صحتها وإن كانت تخذم المعنى.

2- يُعتبر منهجه أقرب للتفسير الموضوعي الذي يربط القرآن بالواقع: وهو ما ورثه من شيوخه في الحركة الإصلاحية بالجزائر، بل الأسلوب نفسه الذي اعتمده الشيخ بن باديس رحمه الله في الجامع الأخضر بقسنطينة.

3- مصادره في التفسير

أ- القران الكريم وتفاسيره.

ب- كتب السنة النبوية .

ت- كتب علوم القرآن الكريم.

ث- الواقع المعاش .

ج-

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة الممتعة لتعلقها بأحد أبناء وطننا العظيم، والحديث عن منهجه وجهوده في تفسيره القرآن الكريم ،يمكن تلخيص ما توصلنا إليه فيما يلي:

1-أن الشيخ عبد الرحمن شيبان رجل إصلاح، ورجل ميدان قدم لهذا البلد خدمات جليلة من أهمها التوعية والتربية من خلال دروسه ونشاطه المسجدي الكبير.

2- أن الدروس المسجدية لا تقل أهمية عن الكتابة والتأليف، ولهذا لابد من بعث الدور الحقيقي للمسجد .

3-لقد صادفت في دراستي تسجيلات كثيرة للشيخ عبد الرحمن شيبان (500شريط) وهي في حاجة لمن يحققها لتنتفع الأمة بها، وقد قطعت شوطاً محترما من هذا في انتظار من يساهم في النشر والطباعة.

4-على طلبة الدراسات العليا التوجه نحو دراسة هذه الشخصيات دراسة معمقة للاستفاذة منها ومن تجاربها.

المراجع:

1. الشيخ عبد الرحمن شيبان المجاهد المربي المصلح الأديب، محمد الصديق قادري وآخرون، جامعة الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية قسنطينة 2014.
2. الشيخ عبد الرحمن شيبان وجهوده في الدعوة والإصلاح، محمد الصديق قادري أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة الحاج لخضر باتنة 2017.
3. شهادة التحصيل هي شهادة زيتونية بدأ العمل بها سنة 1874م وكان يطلق عليها اسم " التطويع" يتحصل عليها الطالب بعد قضاء 07 سنوات يختمها باجتياز امتحان .
4. سوانح في الفكر والأدب والسياسة، عبد الرحمن شيبان، جمع وتحقيق نوار جدواني، ط1 الجزائر 2012،.
5. المعمرة هي الزاوية التي تعلم القرآن الكريم وعلومه وهذه التسمية تنتشر في بلاد القبائل.
6. من هدي الإسلام، عبد الرحمن شيبان، دار الخلدونية 2009..
7. صحيح البخاري ، بيت الأفكار، الرياض 1998م،
8. درس ألقاه بمسجد حيدرة الجزائر يوم 2008/05/16م.
9. درس تفسير ألقاه بمسجد القدس بحيدرة يوم28مارس 2008م.